

ملخص

في عالم تزداد فيه المعرفة يوما بعد يوم وتتنوع حقولها وأنواعها، وفي ظل التطور الأخذ بالتسارع هنا وهناك، ونتيجة للتبادل والتواصل اليومي والسريع بين الشعوب والدول، فإن الحاجة إلى وجود أداة قادرة على تسهيل عملية تبادل العلم والتكنولوجيا بين الناس في مختلف أصقاع الأرض قد باتت ضرورية للغاية في عصرنا الحديث. إن الترجمة علم قديم قدم الكتابة وقدم الإنسانية، وقد اعتمدت الكثير من الحضارات على الترجمة من أجل نقل علوم الأمم الأخرى إلى لغتهم لكي يفهموها ويستفيدوا منها في تطوير ذاتهم. وبالرغم من أن الترجمة ليست جديدة على الإنسان، إلا أن وتيرتها قد تصاعدت وازدادت بشكل ملحوظ في العقود الثلاثة الأخيرة وذلك بسبب الزيادة الكبيرة والمفاجئة في العلم من اكتشافات واختراعات و أبحاث وغيرها، مما استدعى زيادة مماثلة في حركة الترجمة.

بما أن العالم اليوم مكون من الدول الصناعية والعلمية الكبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية واليابان ودول أوروبا والصين وغيرها والدول النامية والصاعدة علميا وتكنولوجيا كـ بعض الدول العربية وتركيا وماليزيا وبعض دول أمريكا الجنوبية، فإن ذلك يضع الشعوب النامية في خانة الباحث عن المعرفة الساعي لامتلاكها. ونظرا لزيادة الرغبة لدى هؤلاء الأشخاص في امتلاك المعرفة ومواكبة التطور فقد ازدادت لديهم الرغبة في نقل هذه العلوم من الغرب إلى لغاتهم الأم من أجل الاستفادة منها. فما كان إلا أن ظهرت موجة متسارعة من الترجمة في مختلف مناطق العالم وفي شتى المجالات العلمية والفنية والأدبية والتكنولوجية وغيرها، مثل هذه الحركة الواسعة تمثلت في زيادة عدد المراكز والمؤسسات المتخصصة في الترجمة بمختلف أصنافها (كالترجمة التحريرية والقانونية والفنية والعلمية والهندسية والرياضية والأدبية والدينية وغيرها كثير) وظهور عدد كبير من المترجمين المحترفين.

بالانتقال إلى الوضع في العالم العربي فقد شهدت المنطقة وعيا متزايدا واهتماما كبيرا بعلوم الغرب ومعارفه الجديدة والقديمة، مما دفع بالعديد من المفكرين إلى الدعوة إلى دعم الترجمة وتشجيعها من أجل نقل ما أمكن من الغرب وإفادة شعوبنا بما وصلوا إليه. لقد لاقت الترجمة ترحيبا واسعا في الدول العربية حيث تم إنشاء العديد من المراكز والشركات المتخصصة في الترجمة والتعريب والتي عملت وتعمل على ترجمة كل ما صدر ويصدر عن الغرب من كتب وأبحاث ودراسات

خاصة تلك المتعلقة بالمجالات العلمية. وخير دليل على هذا الاهتمام المتزايد بالترجمة هو هذا المؤتمر الذي يعقد في جامعة النجاح الوطنية والذي يتناول موضوع الترجمة ودورها في حوار الحضارات.

في الحقيقة إن دور الترجمة لا ينحصر فقط في إفادة شعوبنا العربية من علوم الآخرين, بل هنالك أبعاد أخرى لهذه الحركة, ذلك أن الترجمة تساعد على تسهيل حوار الحضارات والتفاهم بين الشعوب. فالإنسان قديما لم يكن قادرا على أن يتواصل مع غيره ممن يبعدون عنه آلاف الكيلومترات وكان عندما يتقابل بالصدفة مع غيره من البشر اللذين ينطقون بغير ما ينطق يجد انه من الصعوبة التواصل معهم. بالإضافة إلى هذا, فإن الكثير من البشر يفهمون بعضهم بشكل خاطئ نظرا لغياب ما يوضح لهم ما يفكر فيه كل طرف. هذا في الحقيقة ما يحصل في عصرنا الحالي وخاصة فيما يتعلق بنظرة الغرب إلى العرب ودينهم. إن الترجمة عملية أخذ وعطاء, فلا يكفي أن نأخذ من الغرب علومهم ونستخدمها في حياتنا, بل يجب أيضا ترجمة صورة واضحة ومفهومة عن العرب والمسلمين إلى ما وراء حدودنا.

أود أن أخص في هذه الورقة المحور الذي أنوي مناقشته في المؤتمر والمتعلق بـ **"الترجمة بين الأنا والآخر"**. إن الترجمة علاقة ثنائية تبادلية بين صاحب المعرفة وناقلها أو مترجمها إلى اللغات الأخرى, هذا يعني أنه يوجد في هذه العلاقة الأنا والآخر, وما بين الاثنين توجد الترجمة وما تحتويه من معان وفلسفة. الأنا يمثلنا نحن العرب وما يجب أن ننقله وما لا يجب أن ننقله عن الغرب, إذ ليس من الايجابي نقل ما من شأنه أن يضر بنا كأمة لها تاريخها وحضارتها. أما الآخر فيمثل الغرب وغيره ممن يقودون العالم في مجالات العلم والتكنولوجيا. إذا كنا نريد نقل علوم الآخرين إلى اللغة العربية فيجب أن نعلم جيدا على ماذا نركز, هل نركز على العلوم الإنسانية أم الطبيعية أم التكنولوجية؟, هل يجب أن تكون حركة الترجمة فقط باتجاه واحد, أي من كتب الغرب إلى لغتنا أم يجب علينا نحن أيضا أن ننقل تاريخنا وديننا وثقافتنا إلى اللغات الأخرى؟.

ختاما, فإن علينا أن نعرف أن العالم العربي في حاجة ماسة إلى علوم الغرب من أجل بناء أمة علمية متقدمة تكون في طليعة الأمم المتحضرة, لكننا نحتاج في ذات الوقت إلى أن نننّب إلى ما نترجمه كيلا يتسلل إلى ثقافتنا ما هو ليس منا عن طريقنا.

إن مما يخجل حقا أن يقوم بعض كتاب الغرب بتأليف كتب يقومون من خلالها بالدفاع عن صورة العرب أكثر مما يفعل العرب أنفسهم. وحتى أن منهم من قام

بتأليف كتب تنصف الدين الإسلامي وتدافع عنه في وجه الحقد الغربي. وعل الرغم من كون حركة الترجمة من العربية إلى غيرها من اللغات في وطننا العربي لم ترتق بعد للمستوى الذي يخولها الدفاع عن العرب وصورتهم في الغرب, فإن بعض الخطوات الأولية التي تم أخذها في هذا المجال تدل على زيادة الوعي لدى الفرد العربي لدعم صورة أمته ودينه وتاريخه. مثال على هذه الخطوات هو جائزة الملك عبد الله بن عبد العزيز للترجمة والتي تقدم كتقدير لجهود المترجمين وتشجيعاً لهم على مواصلة العمل.

فكرتي الرئيسية تكمن في أن الإنسان العربي مطلوب منه أن ينقل عن الغرب علومه وفي الوقت نفسه أن يعمل على نقل العلوم العربية والإسلامية إلى شعوب القارة العجوز وغيرها من دول (الآخر) وذلك من أجل أن يُعرّف الغرب بثقافته ودينه وعاداته وقيمه وصورته الحقيقية الواضحة. إن قيام بعض كتاب الغرب بتأليف ما لا يحصى من الكتب التي تهاجم الإنسان العربي وتطعن في تاريخه وتُعمل التشويه في صورة دينه وحضارة أمته ليستدعي من الفرد العربي بذل ما أمكن من الجهد من أجل ترجمة كتب العرب وخاصة التي تتناول مواضيع الدين الإسلامي والتاريخ العربي المشرق من أجل وضع حد لمثل هذه التعديات على العرب وتاريخهم. إن من شأن هذا أن يساعد الغرب على فهم العرب بشكل أكبر وأعمق ويعمل على تقريب وجهات النظر بين الشرق والغرب ودعم حوار الحضارات بين الشعوب.

"الترجمة هي مدخل الأنا إلى علوم الآخر ومدخل الآخر إلى حقيقة الأنا"

طارق زياد الشعار
مترجم